كيف لي أن ألغي ذاتي؟؟؟

لا يمكن لأحد أن يتحد بي ما لم أتمكن من ذلك، لأن الآخر هو ردة فعل لغروري، وكلما تعالى صوت الأنا في داخلي أصبح وجود الآخر أكثر إجبارية، فالآخر انعكاس لغروري واستكباري.

ولكن ما هو الأنا وأين يوجد؟ هل فكرت في هذا يوماً أهو في يدك أم في رجلك أم في أي مكان آخر؟ أم أنه غرور ليس إلا؟ في الحقيقة يوجد شعور بالأنا والغرور أما هو فليس موجوداً في أي مكان، مهما بحثت في أعماقك فلن تجد أي أنا أو غرور أو ذاتية... عندما تتواجد حقيقة الذات يتلاشى الأنا.

اعتاد أحد الأثرياء زيارة حكيم مجاور، وذات مرة وصل الثري مستقلاً عربة فاخرة يقودها سائق وقال « أيها الحكيم « أوشو -مثلاً -» جئت أدعوك لتشرف قصري فلدي مناسبة خاصة» فقال الحكيم «إن جئت تدعوني فسأحضر، أما أوشو فلا وجود له إنه مجرد اسم وعلامة مؤقتة»

قال الثري ثانية «لم أعهدك رجلاً غريباً وتتحدث بالألغاز، هلا أفصحت لطفاً؟»

أشار الحكيم إلى العربة وقال «أليست تلك هي العربة التي حضرت بها ؟» أجاب الرجل بنعم، ثم طلب الحكيم من السائق إبعاد الخيول.

وهذا ما حصل.

أشار الحكيم إلى الخيول المبعدة وقد استخدمت أعمدة العربة لربطها وسأل «أتلك الخيول هي العربة ؟» «بالطبع لا يمكن لخيول أن تكون عربة» كان هذا جواب الثري.

سأل الحكيم مرة أخرى «أتلك الأعمدة هي العربة؟» كرر الرجل جوابه بالنفي...

تابع الحكيم يطلب إبعاد أجزاء العربة الواحد تلو الآخر، وكان على الرجل الإجابة من أجل كل جزء بأنه ليس العربة. وعندما لم يتبقى شيء سأل الحكيم أخيراً «إذا كنت أجبت عن كل جزء بأنه ليس العربة، فأين هي عربتك إذاً ؟»

دُهش الرجل من تصرف الحكيم الذي تابع قائلاً «لا وجود للعربة بحد ذاتها، إنها مجرد اجتماع لأشياء محددة... أين هو "أنت" أين هي ذاتك ؟»

لا وجود للأنا في أي مكان، إنما هي عدة طاقات تظهر تأثيراتها ،هذا كل ما في الأمر .

فكر في ذاتك وانظر في نفسك وكن كالعربة... حاول أن تتجاهل أجزاءك الواحد تلو الآخر، فماذا سيتبقى منك في النهاية ؟ لن يتبقى سوى اللاشيء... من ذلك اللاشيء يولد الحب؛ ذلك اللاشيء الذي يتبقى بعد استبعاد كل شيء هو الله.

فقط من الفراغ يولد الحب، الفراغ وحده قادر على الاتحاد بفراغ آخر؛ الصفر وحده يتحد بصفر آخر أما الفردية فلا يمكن لها الاتحاد بفردية أخرى... إن لكل آخر جدرانه وحواجزه، الفراغ وحده من لا جدران له ولا حواجز .

يولد الحب عندما تتلاشى الفردية؛ يولد الحب عندما تصبح الأنا والآخر عديمتي المعنى وكل ما يتبقى عندها هو الكل شيء؛ اللانهاية؛ المهم ألا يكون الأنا... هناك تنهار الحواجز وتندفع جموع المحبين المتأهبة.

ما الذي نفعله عندما نحفر بئراً ؟ الماء موجود في الأرض ولا حاجة بنا للحصول عليه من مكان آخر، كل ما علينا حفر الأرض و إزالة التراب، إن ما نقوم به بالتحديد هو إيجاد فراغ يندفع إليه الماء؛ نحن نوجد فراغاً ليتمكن الماء من إظهار نفسه... إن ما هو كامن في الداخل بحاجة إلى مكان؛ بحاجة إلى فراغ أو عدم ليعبر عن نفسه... فعند رفع الحجارة والرمل

يتحقق للماء الفراغ الذي ينقصه ليندفع نحو الأعلى... وهكذا فالحب موجود داخل الإنسان لكنه بحاجة لفراغ ينتشر عبره، وما دام في روحنا وفي روح أحدنا شيء من الأنا فهو بئر رمل وحجارة لا يمكن للحب الاندفاع فيه.

سمعت بوجود شجرة ضخمة معمرة امتدت فروعها وانتشرت في جميع الاتجاهات، عندما تكون في مرحلة الإزهار تزورها الفراشات من كل الألوان والأشكال والأحجام لترقص فيها، وعند الإثمار تأتيها الطيور من البعيد لتشد قصائدها... كانت الأغصان ممتدة كذراعين ممتدتين لمعانقة كل من يأتي للجلوس في ظلها... اعتاد طفل صغير القدوم للعب في هذا الظل، ومع مرور الوقت نشأت علاقة حب بين الطفل والشجرة . لا فرق بين كبير وصغير في الحب، فالحب بينهما ممكن ما لم يدرك الكبير أنه كبير، إن هذا النوع من الإدراك موجود عند الإنسان فقط فعادة ما يكون الكبير مغروراً كطبيعته الأساسية، أما الحب فلا يفرق بين صغير و كبير ويعانق كل من يقترب منه.

لذلك أحبت الشجرة الطفل الصغير الذي اعتاد القدوم للعب عندها، كانت أغصانها عالية وبعيدة لكنها جعلتها تنحني أسفلاً ليتمكن من ملامسة أزهارها وقطف ثمارها... إن الحب

مستعد للانحناء أما الغرور لا يعرف له شكلاً، وعندما تحاول الاقتراب من الغرور تتصلب أغصانه وتتباعد مما يمنعك من الاقتراب أكثر.

أتى الطفل السعيد للعب فانحنت أغصان الشجرة، كانت تشعر بالسعادة عندما يقطف بعض ورودها... لقد امتلأت بفرح الحب.

يصبح الحب سعيداً عندما يستطيع أن يهب شيئاً، ويصبح الغرور سعيداً عندما يأخذ.

مرت الأيام وكبر الطفل... كان ينام في أحضانها أحياناً ويأكل من ثمارها أحياناً أخرى، وفي بعض الأوقات يرتدي تاجاً من زهورها كأنه ملك متوج... عندما تتواجد أزهار الحب يصبح الإنسان ملكاً، ويصبح بائساً وفقيراً عندما تتواجد أشواك الغرور... أن ترى طفلاً يرتدي تاجاً من الورود يتراقص حول شجرة ليغمرها بفيض من الفرح، هذا ما يوحي بالحب وبالغناء مع النسيم.

كبر الطفل أكثر وأصبح قادراً على تسلق الشجرة والتأرجح بأغصانها، كانت تشعر بالسعادة عندما يستريح على تلك الأغصان... يشعر الحب بالسعادة عندما يقدم الراحة لأحدهم، ويشعر الغرور بالراحة عندما يقدم التعب والشقاء.

ازدادت الأعباء على الطفل مع مرور الأيام ونمت الطموحات، وأصبح يتعرض لاختبارات عليه تجاوزها كما أصبح لديه أصدقاء عليه مسامرتهم، فلم يعد يأتي إلى الشجرة كما كان في السابق، لكنها انتظرته بقلق وكانت تناديه من أعماق روحها «تعال... عد... أنا بانتظارك»... ينتظر الحب ليل نهار وهكذا الشجرة انتظرت لكنها شعرت بالحزن لعدم قدوم من تحب... يصبح الحب حزيناً عندما لا يستطيع المشاركة؛ ويصبح حزيناً عندما لا يستطيع العطاء والاستسلام... الحب هو الأسعد في جميع الأوقات.

كانت زيارات المحب للشجرة تتباعد أكثر فأكثر كلما كبر أكثر... لم يعد الطفل الذي أصبح الآن كبيراً يجد الكثير من الوقت للحب فطموحاته تنمو وتزداد... أصبح الآن منشغلاً بالأمور الحياتية .

نادته الشجرة ذات يوم عندما كان ماراً بجوارها «انتظرك ولا تأتي، وأتوقع زيارتك كل يوم.»

فأجاب « ولم يتوجب علي القدوم ؟ وماذا لديك، هل لديك مال؟ أنا أبحث عن المال.» لا يأتي الغرور إلا مصحوباً بدافع وعندما تكون هناك حاجة تقتضي، أما الحب فلا يأتي إلا للحب ولا دوافع أخرى تدفعه... جوابه الوحيد هو الحب.

فقالت الشجرة الخائفة « لا تأتي إلا عندما يكون لدي ما أعطيه» إن ما يكنه هذا الفتى للشجرة ليس حباً... يهتم الغرور بجمع الثروة، أما الحب فيعطي دون شروط، ثم تابعت الشجرة «لا نعاني من هذا الوباء ونحن سعداء، تتفتح الورود علنا وتنمو الثمار، نرقص مع النسيم ونغني الأغنيات الجميلة، نقدم ظلاً مريحاً و ترقص الطيور البريئة فوق أغصاننا... كل ذلك ولا مال لدينا... في اليوم الذي نعلي فيه شأن المال سيتوجب علينا الذهاب إلى المعابد مثلكم أنتم البشر الضعفاء؛ علينا يومها أن نتعلم البحث عن السلام؛ علينا أن نتعلم البحث عن الحب... لا، ليست بنا حاجة للمال.»

فأجاب الفتى «ولم علي القدوم إذاً؟ علي الذهاب حيث يوجد مال»... يلح الغرور في طلب المال لأنه يبحث عن القوة.

فكرت الشجرة طويلاً وقالت « لا تذهب إلى مكان آخر يا حبيبي، خذ ثماري وبعها، يمكنك أن تحصل بذلك على المال»

فرح الغلام بالعرض وأسرع يتسلق الشجرة يقطف ثمارها... تم قطاف جميع الثمار بما في ذلك غير الناضجة منها، شعرت الشجرة بالسعادة رغم تحطم بعض الفروع والأغصان ورغم تساقط بعض الأوراق أيضاً... عندما يتحطم الحب يصبح سعيداً، أما الغرور فليس كذلك فهو لا يكف عن طلب

المزيد... لم تلاحظ الشجرة أن الغلام لم يلتفت لشكرها لكنها حصلت عليه بمجرد قبول عرضها بقطف الثمار وبيعها.

مر وقت طويل ولم يعد الغلام، لقد أصبح لديه مال وهو منشغل بالحصول على المزيد منه ونسي كل شيء عن الشجرة... مرت الأعوام والشجرة حزينة تحن لعودته كما تحن الأم لولدها الذي فقدته وثدياها مملوءان لبناً، كان وجودها الداخلي يحن لطفلها الذي بحثت عنه بجنون لأنه الوحيد القادر على أن يملأها بالنور... هكذا كان بكاؤها الداخلي؛ لقد كان كامل وجودها يعاني من الألم.

عاد الفتى إلى الشجرة بعد عدة أعوام وقد أصبح الآن بالغاً فقالت «اقترب يا بني... تعال وعانقني»

فأجاب الرجل «كفي عن هذه العواطف المغرضة، لقد كانت أعمالاً صبيانية ولم أعد طفلاً الآن» يرى الغرور الحب عملاً صبيانياً.

لكن الشجرة دعته ثانية وقالت «تعال و تأرجح بأغصاني؛ تعال وارقص؛ تعال والعب معي»

فقال الرجل «كفي عن هذا الحديث غير المجدي... أريد منزلاً، هل بمقدورك أن تعطيني منزلاً؟»

فصرخت الشجرة عالياً «تريد منزلاً!! أنا لا منزل لدي» الإنسان وحده يعيش في منازل، هل لاحظت كيف آلت حال الإنسان بعد أن سجن نفسه بين الجدران الأربعة؟ كلما ازداد الإنسان بنياناً وعمراناً ازداد صغراً... ثم تابعت الشجرة «نحن لا نقيم في منازل، ولكن يمكنك أن تأخذ أغصاني فلربما يساعدك ذلك في بناء منزل»

دون إضاعة للوقت، أحضر الرجل فأساً وقطع أغصان الشجرة بالكامل... ليست الشجرة الآن سوى جذع وحيد وعار، لكن الحب لا يكترث لتقطع أغصانه من أجل من يحب... الحب عطاء؛ الحب استعداد دائم للعطاء.

انتظر الجذع طويلاً وانتظر، أراد أن ينادي حبيبه ولكن لا أغصان لديه ولا أوراق تهبه القوة، ولم يكن قادراً على إرسال رسالته مع الرياح التي عصفت به، لكن روحه حافظت على صلاة واحدة مستمرة «تعال... تعال... تعال... يا حبيبي» لكن شيئاً لم يحدث.

وبعد وقت طويل؛ وبعد أن أصبح الرجل كهلاً مر قرب الشجرة الجذع وتوقف فسألته «ما الذي أستطيع تقديمه لك؟ لقد عدت بعد وقت طويل جداً.»

فأجاب «وماذا بمقدورك أن تفعلي؟... أريد أن أسافر بعيداً لأجني المزيد من المال؛ أريد قارباً»

فقالت الشجرة «لا مشكلة في ذلك يا حبيبي، خذ جذعي هذا واصنع لك منه قارباً، سأشعر بالسعادة لو ساعدتك لتجني مالاً أكثر، ولكن تذكر سأكون دائماً منتظرة عودتك»

أحضر الرجل منشاراً، قطع الجذع و صنعه قارباً ثم أبحر بعيداً.

الشجرة الآن جذيعة صغيرة تنتظر عودة حبيبها، وستنتظر طويلاً، لكن الرجل لن يعود... يذهب الغرور إلى حيث يوجد ما يربحه والشجرة الآن لا تملك ما تقدمه؛ إنها فقيرة تماماً بل معدمة... لا يذهب الغرور إلى حيث يوجد ما يربحه... إن الغرور إله شحاذ وهو في طلب مستمر، أما الحب... الحب إحسان... الحب ملك... هل شاهدت ملكاً أعظم من الحب ؟؟

همست لي تلك الجذيعة ذات ليلة عندما كنت مستريحاً إلى جوارها «لم يعد صديقي حتى الآن، ربما يكون قد غرق؛ ربما يكون قد ضاع، نعم من الممكن أن يضيع في إحدى تلك البلاد البعيدة، وربما لم يعد حياً على الإطلاق... كيف لي الحصول على بعض الأخبار عنه و حياتي تشرف على نهايتها، سأرضى بأي خبر عنه مهما كان صغيراً وعندها سأموت

بسعادة، لكنه لن يعود وحتى لو استطعت نداءه فليس لدي ما أعطيه له وهو لا يعرف إلا لغة الربح»... يفهم الغرور لغة الربح فقط، أما لغة العطاء فهي الحب.

إذا استطاعت الحياة أن تصبح مثل تلك الشجرة تنشر فروعها وأغصانها بعيداً مما يمكن الجميع من الحصول على الحماية والنعيم في ظلها نعرف عندها معنى الحب... لا توجد نصوص ولا مخطوطات للحب؛ ولا توجد معاجم ومجموعة مبادئ للحب ولا تحكمه القواعد والقوانين ولا النظريات.

من الصعب للغاية وصف الحب فهو موجود فينا فقط وربما تستطيع أن تراه في عيني إذا اقتربت كثيراً وحدقت بهما، وأتساءل فيما إذا كنت قادراً على الشعور به في امتداد ذراعي للمعانقة ؟

الحب ...

ما الحب ...؟

إذا لم تشعر بالحب في عيني وفي ذراعي فلا يمكن إدراكه بالكلمات...